بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الفتاح العليم، الذي جعل أنبياءه ورسله أساتذة في مكاتب حضرته للتعليم، وجعلهم هادين مهديين مبلِّغين وعاملين بما يدعون إليه غيرهم إلى طريق ربِّ العالمين. اللهم صلِّي وسلم وبارك على سيدنا مُحَمَّد أستاذ المعلمين أجمعين، من بدء البدء إلى يوم الدين، رسولُ المرسلين ونبيُّ النبيِّين، والمبيِّن عن الله ﷻ إلى جميع العالمين.

صلى الله عليه وعلى آله الفقهاء، وأصحابه العلماء، وأتباعه الحكماء، وكل من مشى على هديه، ونهل من سيرته وسنته وشريعته إلى يوم الدين، واجعلنا منهم أجمعين، آمين .. آمين، يا ربَّ العالمين.

إخواني وأحبابي: بارك الله ﷻ فيكم أجمعين

العبادة التي كلف الله بها أنبياءه ورسله، وجعلها هي المهمة الكبرى التي ينبغي عليهم أن يقوموا بها للخلق في هذه الحياة، ليست العبادات، ولا الطاعات، ولا الأذكار، ولا التهليلات، ولا التسبيحات، وإنما العلم. هم بالطبع والحمد لله قاموا بالعبادات لأنهم قدوة يقتدي بهم، وإلا فمن أين وكيف يتعلم الناس أداء هذه العبادات؟!! فإذا رأوهم يصلون يصلون كما كانوا يصلون، ولذلك قال حبيبُنا صلوات ربي وتسليماته عليه: ﴿ صَلُّوا كَمَا رَأَيْتُمُونِي أُصَلِّي ﴾[1]، وإذا شاهدوهم يحجُّون لابد أن يتابعوهم في حركاتهم في الطواف والسعي ورمى الجمرات وغيرها من أعمال الحجيج، ولذا قال ﷺ: ﴿خُذُوا عَنِّي مَنَاسِكَكُمْ﴾[2].

وحتى في الأمور العادية، فإن أنبياء الله ورسله كانت لهم أحوال خاصة، لكن كانوا يضطرون لمخالطة الخلق، ومجالستهم ومآكلتهم والشرب معهم، ليعلِّموهم الآداب التي ينبغي أن يتبعوها في هذه الأبواب. أنتم تعلمون جميعاً أن رسول الله ﷺ بعد أن اصطفاه مولاه وحباه ورقاه، كان لا يحتاج إلى طعام!! ولذا كان يصوم الأيام المتتالية بدون سحور

١ البخاري عن مالك بن الحويرث ﷺ.

٢ رواه أحمد ومسلم والنسائي عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما.

ولا فطور – صيام الوصال – لأن الله ﷻ تولى بذاته مناولته غذاءه الظاهر والباطن فكان يقول :﴿ إِنِّي أَبِيتُ يُطْعِمُنِي رَبِّي وَيَسْقِينِ ﴾[٣]. ومن سيطعمه ربُّه ويسقيه ربَّه هل هو في حاجة إلى الطعام والشراب الخارج من الأرض؟ لا، فلماذا كان يأكل ويشرب؟

سُئِلَ الإمام أبو الحسن الشاذلي ﷺ – وهو من الأئمة الأعلام الوارثين لأحوال الحبيب المصطفى عليه أفضل الصلاة وأتم السلام فقال ﷺ: (والله ما أكل إلا لنا!! ولا شرب إلا لنا!! ليعلمنا كيف نأكل؟ وكيف نشرب؟ بالطريقة المَرْضِيَّة التي ترضى عنها الحضرة الإلهية، لكن الله أغناه عن الطعام والشراب لأنه تولاه ﷻ في كل أحواله.

وأنبياء الله ورسل الله وأولهم وأكرمهم في المقام وأعظمهم عند الله ﷻ في الدرجات سيدنا رسول الله ﷺ ، وسيدنا رسول الله ﷺ لم يكن يغيب عن ذكر الله طرفة عين إذا كان الله قال لسيدنا موسى كليم الله: ﴿ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي ﴾ (١٤طه).

أقم الصلاة حتى تذكرني فيها الذكر العالي الشأن، فإن رسول الله ﷺ كان كلُّه ذكر، وأوقاته كلها ذكر، وأحواله كلها ذِكْرٌ، يَذْكُرُ الله بظاهره ويَذْكُرُ الله بباطنه، ويَذْكُرُ الله بقلبه وروحه وجميع حقائقه، حتى قال الله ﷻ مشيراً إلى مقامه: ﴿ وَاذْكُر رَّبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعاً وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالآصَالِ ﴾ (٢٠٥الأعراف).

وهذا ذكر خاص به!! فأنت لك ذكر آخر لم يعرفه أحد ولم يره أحد!! القلب يذكر، والروح تذكر، والجميل ﷻ يشهد له في هذا المقام!! لكنه لأنه إمام، كان يصلي ليعلم الناس كيفية الصلاة، ولأن الناس يتفاوتون في أداء الصلاة لله، فقد كان آنات يأخذه مولاه برُوحه ولُبِّه وسرِّه وقلبه إليه – وهو يناجيه – حتى يسقط أمر من أمور الصلاة، حتى يشرعها لمن بعده ولمن حوله من المؤمنين والمؤمنات!!

٣ – صحيح البخاري ومسلم وغيرهما عَنِ ابْنِ عُمَرَ بلفظ: (نَهَى رسول الله ﷺ عَنِ الْوِصَالِ ، قَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، إِنَّكَ تُوَاصِلُ ، قَالَ : " إِنِّي لَسْتُ كَأَحَدِكُمْ ، إِنِّي أَبِيتُ يُطْعِمُنِي رَبِّي وَيَسْقِينِ).

ولذلك قال: ﴿لَسْتُ أَنْسَى وَلَكِنْ أُنَسَّى لِأَسِنَّ﴾ [٤]، لماذا؟ لأجل التشريع، حتى يعرف الناس هذه الأحكام، ولذلك بعض جهلة العلوم ذهبوا إلى رجل من العارفين وقالوا له: بأن رسول الله كان يسهو في الصلاة، قال لهم:

يا سائلي عن رسول الله كيف سهي والسهو من كل قلب غافل لاهي
قد غاب عن كل شيء سره فسهي عما سـوى الله فالتنزيـه لله

شُغُلُهُ بمولاه أنساه ما سواه، وهذا المشهد العظيم – الذي يقوله العارفون – في آخر سورة الكهف، كثيرٌ من المسلمين عندما يسمع القارئ يقول: ﴿ وَاذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ﴾ (٢٤الكهف)، يقول: (لا إله إلا الله مُحَمَّد رسول الله)، وهذا صحيح وصدق. لكن الجماعة العارفين لهم مَشْهَدٌ آخر في الآية!! فقالوا : أنت تذكر ربَّك الذِّكْرِ الحقيقي – الذي يحبُّه الله – إذا نسيت لحظة ذكره ما سواه، فهذا هو الذكر الصحيح. لكن أنت تذكر الله، ومع هذا الذكر يوجد مشاغل في القلب، وفيه شواغل في النفس، مع أنه قال ﷺ: (لا يَقْبَلُ اللهُ دُعَاءً مِنْ قَلْبٍ لاهٍ)[٥]. وماذا يري الله غير حضور القلب؟!!

اذكُرْ اللهَ إِنْ نَسِيتَ سِوَاه قُلْ بِقَلْبٍ فِي الذِّكْرِ يَا الله

فهذا هو الذكر!! فأنت بذلك وصلت لحقيقة الذكر. متى تعرف أنك أصبحت من الذاكرين لله كثيراً؟ إذا كنت في حالة ذكرك لله لا تتذكر شيئاً أبداً من الدنيا ولا مشاغلها ولا مشاكلها، وتعيش في حضورٍ مع حضرة الله جلَّ في علاه.

---

٤ – وروى موطأ مالك رواية يحيى الليثي بلفظ: (إِنِّ لَأَنْسَى أَوْ أُنَسَّى لِأَسُنّ). جاء في شرح الزرقاني على موطأ وفي الشفاء لعياض قيل : هذا اللفظ شك من الراوي ، وقد روي : إني لا أنسى ولكن أنسى لأسن أي بلا النافية عوض لام التأكيد في الرواية الأولى ، وقال قبل ذلك بل قد روي (لست أنسى ولكن أنسى لأسن) اهـ ،

٥ روى الحاكم في المستدرك عن أبي هريرة ﷺ، عن النبيّ ﷺ قال: (ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة، واعلموا أن الله لا يقبل دعاءً من قلب غافل لاه).

فأنبياء الله ورسل الله كانوا يعلِّمون الخَلْقَ، ولذلك قال ﷺ: (إنما أرسلت مُعَلِّماً)[٦]، لكن عبادة الأنبياء وعبادة المرسلين – ومن بعدهم عبادة الصالحين، وعبادة المقربين، وعبادة العارفين – النفلية الأعلى في المقام ما هي يا أحباب؟ ليس قيام الليل، ولا صيام النهار، وإنما: طلب العلم لله ﷻ!! هذه هي العبادة التي لا تساويها ولا تدانيها عبادة حتى في الأجر والثواب!! ولذلك لا يستطيع على هذه العبادة إلا الفرد بعد الفرد، لأنها شديدة على النفس.

النَّفْسُ سَهْلٌ عليها أن تقوم ليلة، أو تصوم أيام، بل لها باعث في هذا يريد أن يقوم الليل حتى يتباهى أمام الخلق، ويزهو بينهم، أنه رَجُلٌ يقوم الليل!! وهذا يقول له: ادعُ لي يا شيخ فلان، وهذا يقول له: لا تنسانا من الدعاء فإنك تصلى في جوف الليل الآخر. النفس تفرح بهذا المدح وهذا الثناء، وتريد النفس أن تستزيد من هذا العمل حتى تستزيد من المدح والثناء. يصوم أمام الناس حتى يقولوا عنه: أنه رجل عابد، إنه يصوم يوم الاثنين والخميس على الدوام!! أو أنه يصوم يوم ويفطر يوم سَلْهُ يدعو لك لأن دعاء الصائم لا يرد. وهذا كلُّه سهلٌ، لكن ما الصعب عليه؟!!

مدارسة العلم، وطلب العلم لمرضاة الله، لوجه الله!! لا ليقول، ولا ليجادل، ولا ليكتسب به شهرة أو منزلة. هذه ليست طريقنا!! وهذه حضرةُ النَّبِيِّ جمعها في حديث قال فيه ﷺ: ﴿ مَنْ طَلَبَ الْعِلْمَ لِيُجَارِيَ بِهِ الْعُلَمَاءَ، أَوْ لِيُمَارِيَ بِهِ السُّفَهَاءَ، أَوْ يَصْرِفَ بِهِ وُجُوهَ النَّاسِ إِلَيْهِ أَدْخَلَهُ اللَّهُ النَّارَ ﴾[٧]. إذن لماذا أطلب العلم؟ للعمل!! حتى أعمل الأعمال الأرقى والأتقى والأعلى عند حضرة الله!! كلَّما يزيد الإنسان في العلم كلَّما يزيد في معرفة الأفضل له عند مولاه، فيتقرب به إلى حضرة الله جلَّ في علاه.

---

٦ جابر الذي رواه مسلم عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما بلفظ: (إِنَّ اللَّهَ لم يَبْعَثْنِي مُعَنِّتًا ولا مُتَعَنِّتًا، وَلَكِنْ بَعَثَنِي مُعَلِّمًا مُيَسِّرًا).

٧ رواه الترمذي والحاكم في المستدرك والطبراني عن كعب بن مالك ﷺ.

نأخذ مثالاً واحداً: الرجل الذي حضرةُ النَّبِيّ قال في شأنه: (عالم من قريش يملأ طباق الأرض علماً)[٨]، من هو؟ قيل: إنها في الإمام الشافعي ﷺ وأرضاه، أجمع العلماء على أنها للشافعي، لأنه مُحَمَّد بن إدريس الشافعي من قريش وهو العالم الذي أطبق وملأ الأرض علماً رضوان الله تبارك وتعالى عليه، وهو الذي أسَّسَ عِلْمَ أصول الفقه، وهو الذي بيَّن أن فقه الإسلام ينبغي أن يتغير من زمان إلى زمان، ومن مكان إلى مكان، وليس فكراً جامداً ثابتاً، وإنما فيه مرونة!! ذهب إلى بلاد العراق ووضع مذهباً، ولما جاء إلى مصر قال: لا، أهل مصر غير أهل العراق، وبيئة مصر غير بيئة العراق، فوضع مذهباً آخر جديداً وترك المذهب القديم!! المذهب الجديد يلائم ويوافق أهل مصر وبيئة مصر وأحوال مصر في عصره وزمانه رضي الله تبارك وتعالى عنه.

هذا الرجل كان مِنْ كُمَّلِ أولياء الله ﷻ،كان عنده الفراسة النورانية، فعندما يرى أحداً يتوسم فيه، فيكون ما توسمه هو الصحيح على الفور!! والكتب مليئة بفراسته التي لا تخيب رضوان الله تبارك وتعالى عليه. أدرك بتوفيق الله وليس بمهارته وشطارته، أن الباب الأعظم الذي ينال به ولاية الله هو طلب العلم لمرضاه الله. طَلَبَ العلم وقوَّاه مولاه جلَّ في علاه. لما صَدَقَ في طلبه جعل له ذاكرة خارقة!! لا يقرأ شيئاً إلاَّ وحفظه في الحال!! لا يحتاج إلى تكرار!! ولا يحتاج إعادة!! من مرة واحدة يحفظ!!

وكان رجلاً فقيراً لا يستطيع أن يشترى الكتب ولا أن يقتنيها، فكان يذهب إلى بائع الكتب – وكان يسمى: (الكتاتبى)، اتخذ كشكاً يكتب الكتب، ولم يكن هناك طباعة، ويبيعها – ويستأذنه في بعض الكتب، في كتاب يتطلع فيه!! ويجلس إلى جواره، فينظر في الكتاب لحظات، وبعد ذلك يقول له: خذ كتابك، الحمد لله قد حفظته من الجلدة إلى الجلدة من مرة واحدة!! وذلك لشدة شوقه، وكثرة تعلُّقه بهذا الباب الذي يريد أن يُرضى به ربَّه، وينال به فضل الله وإكرام الله، ويتوج فيه بولاية الله ﷻ العظمى. حتى قال فيه سيدنا أحمد بن حنبل ﷺ – وكان من العلماء الأفذاذ!! جمع ستمائة ألف

٨ الطيالسي في مسنده عن ابن مسعود ﷺ مرفوعاً بلفظ: (عَالِمُ قُرَيْشٍ يَمْلأُ الأَرْضَ عِلْمًا).

حديثاً لرسول الله!! وليس حديثاً عن رسول الله كذا؟ لا، وإنما الأحاديث بأسانيدها فلان عن فلان عن فلان إلى رسول الله، ومع ذلك كان يأخذ بدابَّة الشافعي ويمشي!! هو يمسك بالدابة والشافعي راكب على الدابة!! فَلامَهُ الناس وقالوا له: لماذا تفعل ذلك؟ قال: (الشافعي في الناس كالشمس في رائعة الضحى، وكالعافية للناس لا أحد يستطيع أن يستغنى عنه أبداً). قالوا له: أنت محدِّث وتَجْمَعُ الأحاديث!! قال لهم: إذا فاتنى السند القوى أرجع إلى السند الضعيف، لكن إذا فاتنى عِلْمُ هذا الغلام فمن أين آتى به؟!! فهو معه علم ألهمه به الله ﷻ.

ما هذا يا إخواني؟!! هذا هو الباب للأحباب ويصدق فيه حتى يكون الباب هو الأستاذ الأعظم له هو الكريم الوهاب ﷻ!! ﴿وَاتَّقُواْ اللّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللّهُ﴾ (٢٨٢البقرة). من الأستاذ هنا؟ الله جلَّ في علاه، وكلمة (واتقوا الله ويعلمكم الله): يعنى كلَّما زادت التقوى كلَّما زاد في تعليمه من العلوم الوهبية الإلهية، وليس علم واحد الكل سيتعلمه!!

فكان الشافعي على هذه الشاكلة، ومالك على هذه الشاكلة، وأحمد بن حنبل على هذه الشاكلة، وأبو حنيفة على هذه الشاكلة!!كلُّهم بلغوا مقامات الولاية الكبرى في هذا الباب، باب العلم الذي علَّمه لهم رسول الله ﷺ!! ذهب لزيارة الإمام أحمد بن حنبل في بغداد – عندما كان في بغداد – وقام بضيافته، والإمام أحمد كان يهذِّب أبناءه ويعلِّمهم، بنته كانت عالمة وفقيهه!! وابنه كان وريثه في العلم وكتابة الحديث والفقه!! كان هذا همُّهم، يورث هذه المهنة لأولاده!!

ففي الصبح قال لها: ما رأيك في الشافعي؟ قالت: رأيت فيه ثلاث خلال ليست في الصالحين!! قال: ما هي؟ قالت: رأيته صلى العشاء واضطجع على ظهره، وقام يصلى الفجر بغير وضوء، ورأيته لم يقم ليصلى قيام الليل – لأنها معتقدة أن الصالحين لازم يقوموا الليل بالركوع والسجود، وهى لم تأخذ بالها أن القيام لله بالعلم خير من الركوع والسجود – ولما قدَّمنا له الأكل أكل كثيراً!! هم كانوا يمشون على هَدْيِ رسول الله ﷺ لا يأخذون بالظَّنِّ، وإذا سمعوا عن إنسان أمراً لابد أن يسألوه حتى

يصنعون منه ويضعون له مخرجاً في هذا الأمر. فلا يصح أبدا أن أحكم على الناس على حسب ظواهرهم، والظواهر لا تنكشف على البواطن، والبواطن لا يعلمها إلا من يقول للشيء كن فيكون.

فقال لها: نسأل الشافعي ﷺ وأرضاه، فسأله فقال ﷺ : أنا منذ صَلَّيْتُ العشاء وأنا على وضوئي، ولم أنم حتى قمتُ لصلاة الفجر. قالوا له: فلماذا لم تصلى التهجد؟ قال ﷺ : أكرمني الله في هذه الليلة فحللت مائة مسألة فقهية، كلَّها تَهِمُّ المسلمين، لكن قيام الليل هذا سيكون لمن؟ سيكون لي، والعمل الذي للمسلمين أولي أم العمل الذي لنفسي أولى؟ العمل الذي للمسلمين!! فقال له: لماذا أكلت كثيراً؟ فقال له: أنا أعلم أن زادك حلال، وأنا أجاهد نفسي فأعطيها لقيمات، وتعلَّمنا من الكرام أن نعطيها شهوتها إذا وجدت مطعماً حلال ولو مرة نُكفى شرها. وقد قيل: (من ملأ بطنه من زاد الصالحين ملأ الله قلبه إيماناً وحكمة).

هكذا يا إخواني كان الصالحون ﷺ وأرضاهم!! عبادتهم كلُّها العلم .. العلم للعمل الذي يوصل الإنسان لأعلى المراتب في القرب من حضرة الرحمن ﷻ، ولأجل ذلك عندما نرى في القرآن وصف النَّبِيّ ﷺ الذي وصفه به الرحمن: ﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ ﴾ (٥٦ الأحزاب). فهل هناك أحد يستطيع أن يصل إلى هذه المنزلة؟ حضرة النبيّ قال: نعم!! فقال ﷺ : ﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ وَأَهْلَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْض حَتَّى النَّمْلَةَ فِي جُحْرِهَا، وَحَتَّى الْحُوتَ لَيُصَلُّونَ عَلَى مُعَلِّمِ النَّاسِ الْخَيْرَ﴾[٩].

هذه هو الوراثة الكاملة لسيد الأولين والآخرين!! الله والملائكة وكل الكائنات حتى الحشرات بما فيها النمل والأسماك، بما فيها الحيتان، تصلى على مُعَلِّمِ الناس الخير!! لأنه ورث أنوار النبوَّة، وأصبح هو الذي يبلِّغ بأمر الله ﷻ عن النَّبِيّ الأعظم، والخاتم الأكرم، سيدنا رسول الله ﷺ!! فعندما تنظر أنت بعد ذلك في أجر النوافل والسنن، لا توجد أبداً نافلة – مهما كان قدرها – أن تساوى ثواب مجلس علم مثل الذي نحن فيه

٩ – رواه الترمذي عَنْ أَبِي أُمَامَةَ الْبَاهِلِيِّ ﷺ.

الآن!! مجلس علم – وإن قل، لو كان حتى مثل حديث الروح الذي يأتي في التليفزيون وهو مدته خمس دقائق – (مجلس علم وإن قَلَّ خيرٌ من عبادة سبعين سنة – خير وليس مثل، وإنما – خير من عبادة سبعين سنة ليلها قيام ونهارها صيام).

لو الواحد يريد أن يدخل هذا الباب – ولا يوجد معلم – وسيفتح كتاباً، حضرة النبيّ يقول له: (ساعة – وكلمة ساعة في حديث رسول الله يعني لحظة، فكانت لا توجد ساعة مثل ساعتنا في زمن رسول الله، فالساعة يعني: لحظة ﴿ساعة من عالم يطالع في كتابه وهو متكأ على أريكته خير من عبادة ستين سنة﴾ [١٠].

هذه عبادة شباب الإسلام يا أحباب، لماذا؟ الشيطان كيف يدخل للإنسان؟ يدخل للإنسان من الباب الذي يجهله في شرع حضرة الرحمن، فكلما عرفت باباً فرَّ منه الشيطان!! وكلما عرفت باباً آخر فرَّ منه الشيطان!! إذن فالذي يجعل الإنسان في حصون الله، وليس للشيطان عليه سلطان، هو العلم.

إذا كان عالماً، كيف سيدخل له الشيطان؟!!! أنتم تعرفون سيدي عبد القادر الجيلاني ﷺ وأرضاه، بَنَى أساسه على العلم أولاً، ولما جاء في الخلوة ورأى نوراً من السماء إلى الأرض، وقال له: عبدي عبد القادر، قال: لبيك سيدي، قال: إني قد أبحتُ لك المعاصي. قال: إخسأ يا ملعون، فإذا بالنور يتحول إلى دخان!! قال: كيف عرفتني يا عبد القادر؟ قال: إن الله لم يحرِّم شيئاً على لسان نَبِيّ ثم يُبِيحُهُ لِوَلِيّ.

اسمعوا ماذا قال الشيطان؟ قال: نَجَوْتَ مني يا عبد القادر بفقهك وعلمك، ولقد أخرجت قبلك سبعين رجلاً من العارفين بهذه الطريقة!!

مشغول بالعبادة والقيام والصيام، ويقول له: أنا أبحت لك المحرمات، فيقول: خلاص فأنا أخذت كارت وتصريحاً – فهو لا يعلم – فيطرد من رحمة الله ﷻ، لأن من خالف الشريعة طرفة عين أو أقل عامداً متعمداً ولم يقدم بعدها توبةً نصوحاً لله خرج من رحمة الله جلَّ في علاه، وخاصة إذا كان إماماً يُقتدي!!!

١٠

وأنتم كما تعلمون الشيخ أبو عسكر دخل ليصلى فوجد في القبلة مكتوباً على القبلة بالنور: لا إله إلا الله أبو عسكر ولِيُّ الله، قال له: إخسأ يا ملعون، أهذا شيء تراه العين؟!!! لأن هذه العين لا ترى ذلك، وإنما الذي يرى ذلك البصيرة، لكن ما دام شيء ظهر للعين فهذا تلبيس من إبليس!! ما الذي عرفه ذلك؟!! العلم

ولذلك لازم الإنسان قبل ما يحكم العبادة يحكم العلم، ولذلك عندما نبحث في سير الصالحين أجمعين نجد أن الأساس الأول لكلِّ الصالحين إن كان قديماً أو حديثاً – سيدي عبد القادر الجيلاني، سيدي أبي الحسن الشاذلي، سيدي أبي العباس المرسى، سيدي محي الدين بن عربي، سيدي أبي العزائم، سيدي أحمد البدوي، سيدي إبراهيم الدسوقي – كل الصالحين، بدايتهم الأولى لازم الأول تجويد وحفظ كتاب الله، ثم تعلُّم شرع الله جلَّ في علاه، ثم تحصيل أحكام شريعة الله، كلُّهم ولما تدرس سيرتهم كلهم تجدهم على هذه الشاكلة.

ولذلك نحن دائماً ننبه على الأحباب: أي واحد حبَّكم ومَشَى معكم لازم فوراً تعمل له دورة عاجلة في كتاب الله، ودورة في شرع الله، لكن لا أعمل له دورة في كتب الشريعة المطولة، لأني لن أعيِّنَهُ مفتيً، وإنما أعلمه الشريعة التي لا غنى له عنها، الذي يحتاجه حتى يصحح العمل لله. ما لابد له منه لكي يؤدى الصلاة، ما لا غنى له عنه حتى يصحَّ صيامه لله، أعلمه هذه الأمور. طبعا الذي لا غنى لنا عنه أجمعين: أعلمه المعاملات الإسلامية – والتي الناس في غيبة عنها الآن!! تركوا المعاملات الإسلامية وكل واحد ماشى على حسب هواه!!

لابد أن يعلم أولاً شرع الله، بعد ذلك يريد أن يتلقن الذكر، يريد أن يأخذ صيغة يصلى بها على حضرة النبيّ ويصلى بها، يريد أن يتملى في قيام الليل، يريد أن يدخل في صيام النهار، يريد أن يذهب إلى أي عمل من النوافل فسيقوم به على العلم وعلى الصواب لأنه أولاً تعلَّم شرع الله جلَّ في علاه.

هذا يا إخواني مبدأ الصالحين أجمعين، المحبَّة موجودة والحمد لله، لكن مع المحبَّة لابد – مثل أصحاب رسول الله، كان من يأتي إلى رسول الله، يقول رسول الله لأصحابه: علِّموه – لأنه غير متفرغ، فهو للدراسات العليا – وهذا في بدايته، ويريد أن يتعلم أشياء في الإبتدائية – فيقول لأصحابه: علِّموه. واحد يعلِّمُه ما تيسر من القرآن، ليس شرطاً أن يعلمه القرآن كلَّه، وإنما ما يستطيع أن يصلى به، وآخر يُعَلِّمُه أحكام الإسلام والعبادات والمعاملات الإسلامية.

صحيح هؤلاء كانوا لصدق الإقبال كانت الدورة تأخذ ثلاثة أيام، فكانت شيء من الإعجاز فقالوا: كان الرجل البدوي يبول على نفسه – يعني يتبول ولا يعرف طهارة – يأتي إلى رسول الله ﷺ فيمكث عنده ثلاثة أيام ويخرج عالماً بالله ﷻ، وهذا كان إعجاز نبوي. لكن إحنا محتاجين إن الدورة تمتد بعض الشيء تأخذ شهر أو شهرين المهم لازم الدورة الأولية!!

لازم يعرف بعض الآيات القرآنية، بأحكامها وتصحيح تلاوتها، ليس شرطاً التجويد، لكن يصحح التلاوة حتى يصلِّي بها لله ﷻ – وبعد ذلك نقول له جَوِّدْ – ويتعلم ما لابد منه من شرع الله، فإذا أراد أن يستزيد من شرع الله ليبين – عندما يجلس مع هذا ومع ذاك – أنه رجلٌ عالمٌ في الشريعة، نقول له: لا، أنت هنا ستقع في الخطأ!! هذه ليست طريقك، إذن ما طريقنا نحن كلنا؟: ﴿ فَاسْأَلُواْ أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ﴾ (٤٣النحل).

يوجد تخصصات موجودة، ونحن نحترم التخصصات، حيث يوجد أناس تخصصوا في هذا الميدان، ودرسوا العلوم وأنواعها وأشكالها في الأزهر الشريف، وهؤلاء المرجعية التي تخصُّنا، التي نرجع إليها، ولا نجادل مع بعضنا في أي أمر من الأمور الشرعية، فإذا اختلفنا في الأمر نذهب إلى فلان ونَحِلُّ المشكلة والمعضلة، وإذا ذهبنا نخضعُ ونسلِّمُ لما يقول، لأننا نعمل بقول الله:﴿ فَاسْأَلُواْ أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ ﴾ (٤٣النحل). هل هذا واضح يا أحباب؟

فالفريضة – ليست النافلة – الأُولى علينا كلِّنا، وعلى كل شبابنا وبناتنا – سواء من أهل الطريق أو سواء عوام المسلمين – ما هي يا إخوانى؟؟ العلم. وأيُّ علم؟ العلم الذي أصحح به العبادة لله، والعلم – قبل ذلك – الذي أصحح به العقيدة في حضرة الله جلَّ في علاه، والعلم على قدري بتلاوة كتاب الله، وبعد ذلك أستعين بالعمل والعمل يبلغ الأمل.

نسأل الله ﷻ أن يعلِّمنا علماً نافعاً، وعملاً رافعاً، وأن ينفعنا بما عَلَّمَنَا، وأن يُعَلِّمَنَا ما لم نكن نعلم، وأن يجعلنا علماء عاملين، وأن يوفقنا بتوفيقه لأداء ما يحبُّه ويرضاه من شرعه المبين، وأن يرزقنا حسن الاقتداء والاقتفاء بسيد الأولين والآخرين، وأن يجعله إماماً لنا في الدنيا وشفيعاً لنا يوم الدين، وأن يحشرنا في زمرته أجمعين، وأن يجعلنا من أهل جواره ومودته في جنة النعيم.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

****